

كان غريباً أن تسأل طفلاً صغيرة مثلها إنساناً كبيراً مثلي لا تعرفه في بساطة وبراءة أن يُعدّل من وضع ما تحمله، ففوق رأسها تستقر «صينية بطاطس بالفرن»، وفوق هذه الصينية الصغيرة يستوي حوض واسع من الصاج مفروش بالفطائر المخبوزة، ولم تَطُلْ دهشتي وأنا أحدقُ في الطفلة الصغيرة الحيرى، وتلمست سبلاً كثيرة وأنا أسوى الصينية، وأعدل من وضع الصاج فتميل الصينية، ولستُ أدرى ما دار في رأسها، فما كنتُ أرى لها رأساً، كلُّ ما حدث أنها انتظرت قليلاً لتأكد من قبضتها، ولا عن ثوبها القديم الواسع المهلل الذي يُشبه قطعة القماش التي ينظف بها الفرن، أو حتى عن رجليه اللتين كانتا تُطلان من ذيله الممزق كمسمارين رفيعين. وتخبط خطواتٍ ثابتةٍ قليلة، حتى امتصتني كلُّ دقيقة من حركاتها، فقد كنتُ أتوقع في كل ثانية أن تحدث الكارثة. واستأنفت سيرها على الجانب الآخر، وكادت عربةٌ تدهمني وأنا أسرع لإنقاذهما، وحين وصلتُ كان كل شيءٍ على ما يرام، والوحض والصينية في أتم اعتدال، فمن جديدٍ راحت مخالبُها الدقيقة تمضي بها، وألقت على الكرة والأطفال نظرة طويلة